

## -9-

### العائلة

بحلول بداية عامي الثاني في مجلس الشيوخ، استقرت حياتي على إيقاع قابل للتدبير. كنت أغانر شيكاغو ليل الاثنين أو صباح الثلاثاء، اعتمادا على مواعيد جلسات التصويت في المجلس. وباستثناء ذهابي يوميا إلى نادي اللياقة البدنية في المجلس والغداء أو العشاء مع صديق (وهذا أمر نادر)، كانت تشغلني في الأيام الثلاثة التالية سلسلة متوقعة ومعروفة من المهمات - مراجعة التعديلات على القوانين التي تطرحها اللجان، والتصويت، والغداء مع الأعضاء الديمقراطيين، والبيانات في قاعة المجلس، والخطب، والصور مع الأعضاء، وجمع التبرعات في الأمسيات، والرد على المكالمات الهاتفية، وكتابة المراسلات، ومراجعة التشريعات، وكتابة مسودات المقالات، وتسجيل الملفات الرقمية من الإنترنت، وتلقي الإجازات السياسية، واستضافة الناخبين، وحضور سلسلة لانهاية لها من الاجتماعات واللقاءات. وفي أصيل أيام الثلاثاء، نعرف، حين نكون في غرفة الاستراحة الملحقة بالمجلس، موعد التصويت، وفي الوقت المحدد أقف في الطابور مع الزملاء لأدلي بصوتي، قبل أن أنزل درجات مبنى الكابيتول مسرعا لألحق بالطائرة التي تقلني إلى شيكاغو وأصل إلى المنزل قبل أن تخلد البنيتين إلى النوم.

على الرغم من برنامج المواعيد المتختم، وجدت العمل مثيرا وساحرا، وإن يكن محبطا بين الحين والآخر. فخلافا للمدركات الشعبية السائدة، لا يعرض على التصويت في قاعة المجلس سوى قرابة عشرين مشروع قانون يحظى بالأهمية كل سنة، ومن النادر أن يقدم أحدها عضو من حزب الأقلية. ونتيجة لذلك، انحصرت في إطار اللجان معظم المبادرات الرئيسية التي قمت بها - تشكيل مناطق مبتكرة للمدارس العامة، وخطة لمساعدة مصنعي السيارات الأمريكيين على دفع تكاليف الرعاية الصحية للعمال المتقاعدين مقابل رفع معايير الاقتصاد في استهلاك الوقود، وتوسيع

برنامج بيل غرانت لمساعدة الطلاب من ذوي الدخل المحدود على تلبية نفقات التعليم الجامعي المرتفعة.

من ناحية أخرى، استطعت بفضل العمل الدؤوب للموظفين المساعدين أن أدخل تعديلات على عدد كبير من القوانين: ساعدنا على توفير التمويلات الضرورية للمحاربين القدماء الذين لا يملكون بيوتنا. وفرنا أئتمانات ضريبية لمحطات الوقود التي تنصب مضخات وقود (E85). حصلنا على تمويل لمساعدة منظمة الصحة العالمية على الرصد والاستجابة لجائحة أنفلونزا الطيور المحتملة. أجزنا في المجلس تعديلا يلغي العقود التي لا تعتمد على مناقصات فيما يتعلق بإعادة إعمار المناطق المنكوبة التي اجتاحتها إعصار كاترينا، وبذلك عاد مزيد من المال إلى أيدي ضحايا المسألة. صحيح أن هذه التعديلات لن تغير البلد، لكنني شعرت بالرضى لأن كلا منها قدم لبعض الناس مساعدة متواضعة أو دفع القانون قليلا في اتجاه قد يثبت أنه أكثر اقتصادا أو أكثر استجابة أو أكثر عدالة.

في أحد أيام شهر شباط/ فبراير، وجدت نفسي في حالة مزاجية ومعنوية جيدة، بعد أن استكملت جلسة استماع حول تشريع قدمته أنا وديك لوغار استهدف تقييد انتشار الأسلحة وتجارتها في السوق السوداء. ولأن ديك أحد أبرز الخبراء في المجلس فيما يتعلق بقضايا انتشار الأسلحة، إضافة إلى ترؤسه على لجنة شؤون العلاقات الخارجية، فقد كانت احتمالات إجازة مشروع القانون واعدة. أردت أن أتقاسم مع ميشيل الأخبار السارة، فاتصلت بها من مكثبي في واشنطن وشرحت لها أهمية القانون — كيف يمكن للصواريخ المضادة للطائرات المحمولة على الكتف أن تهدد الرحلات الجوية التجارية إذا وقعت في أيدي الأعداء، وكيف استمرت مخزونات الأسلحة الخفيفة من حقبة الحرب الباردة تغذي الصراعات في مختلف أرجاء العالم. قاطعتني ميشيل قائلة:

«في بيتنا نمل!»

«ماذا؟»

«وجدت النمل في المطبخ. وفي الحمام»

«حسنا..»

«أريدك أن تشتري مصائد للنمل قبل أن تأتي إلى البيت غدا. أستطيع شراءها بنفسني لكن علي أخذ البنتين إلى موعد الطبيب غدا بعد المدرسة. هل تقدر؟»

«أجل. مصائد للنمل»

«مصائد للنمل. لا تنس يا عزيزي. علي الآن الذهاب لحضور اجتماع. إلى اللقاء»

أغلقت الخط، وتساءلت هل يبتاع تيد كنيدي أو جون مكين مصائد للنمل في طريقهما إلى المنزل من العمل.

معظم الذين يقابلون زوجتي يستنتجون بسرعة أنها تتمتع بشخصية لافتة. وهم على حق - فهي ذكية، وساخرة، وساحرة. وهي أيضا جميلة، لكن جمالها ليس من النوع الذي يجده الرجال مهددا أو تجده النساء مزعجا أو منفرا؛ إنه جمال الأم والموظفة المهنية المشغولة بعملها، الذي يختلف عن صور فتيات الغلاف في المجلات الشهيرة. في كثير من الحالات، يأتي أحدهم إلي بعد سماعها تتحدث في اجتماع أو العمل معها في مشروع ويقول شيئا مثل: «بارك، أنا معجب بك، لكن زوجتك.. رائعة»، في العادة، أومئ برأسي، فأنا أعرف جيدا أنها لو نافستني على أي منصب عام لما وجدت صعوبة تذكر في الفوز علي.

من حسن حظي أن ميشيل لن تدخل معترك السياسة أبدا. وهي تقول لمن يسألها: «ليس لدي الصبر» ومثلما هي عادتها، فهي تقول الصدق.

التقيت ميشيل في صيف عام 1988، حين كنا نعمل معا في مؤسسة قانونية كبيرة (سيدلي و اوستن) يقع مقرها في شيكاغو. ومع أنها تصغرني بثلاث سنين، إلا أنها كانت محامية ممارسة، بعد أن انتسبت إلى كلية الحقوق في هارفارد حالما تخرجت في الجامعة. كنت قد أنهيت لتوي السنة الأولى في كلية الحقوق وبدأت العمل مساعدا مؤقتا في الصيف.

كانت مرحلة صعبة وانتقالية في حياتي. فقد انتسبت إلى كلية الحقوق بعد ثلاث سنوات من العمل في مجال التنظيم الاجتماعي. ومع أنني استمتعت بدراستي، إلا أن الشك ظل يراودني فيما يتعلق بقراري. كنت قلقاً في سري من أن يمثل ذلك تخلياً عن المثل العليا التي تبنيها في سنوات الشباب، تنازلاً للوقائع الصارخة التي يفرضها المال والسلطة - العالم كما هو لا كما يجب أن يكون.

فكرة العمل في مؤسسة قانونية، قريبة بهذا القدر ومع ذلك نائية إلى هذا الحد عن الأحياء الفقيرة التي ما زال أصدقائي يكدحون فيها، فاقمت تلك المخاوف. لكن مع ارتفاع أقساط قروض الطلاب بسرعة، لم يكن وضعي يسمح لي برفض مرتب الشهور الثلاثة الذي عرضته علي المؤسسة. وهكذا، بعد أن استأجرت أخص شقة وجدتها، وابتعت أول ثلاث بذات وحذاء جديداً (تبين أنه صغير المقاس وسوف يشل حركتي طوال الأسابيع التسعة التالية)، دخلت المؤسسة في صبيحة يوم ماطر من أيام شهر حزيران/ يونيو، وتوجهت إلى مكتب المحامية الشابة التي عينت مشرفة على عملي.

لا أتذكر تفاصيل أول حديث لي مع ميشيل. أتذكر فقط أنها فتاة طويلة القامة (تماثلني في الطول حين تلبس حذاء عالي الكعب) ومحبة وودودة ومحترفة، ومظهرها يدل على شخصيتها. شرحت لي كيف تعين المهمات في المؤسسة، وطبيعتها، وكيف نسجل ساعات العمل على القضايا. وبعد أن قادتي إلى مكنتي، وزرنا المكتبة، عرفتني بأحد الشركاء وقالت: إنها ستقابلني على الغداء.

أخبرتني ميشيل فيما بعد أنها فوجئت (مفاجأة سارة) حين دخلت مكتبها؛ فالصور الشخصية التي أرسلتها بدا فيها أنفي أكبر حجماً، وشككت في رأي السكرتيرات اللاتي شاهدني خلال المقابلة وقلن إنني جذاب: «اعتقدت أنهن تأثرن، كعهدهن دوماً، برجل أسود يلبس بزة ويحصل على عمل» لكن إذا كانت ميشيل قد تأثرت، فإنها لم تظهر تأثرها خلال الغداء. عرفت أنها نشأت في منطقة ساوث سايد، في بيت صغير إلى الشمال من الحي الذي كنت أمارس فيه عملي التنظيمي. كان والدها مشغل مضخة المدينة؛ وظلت والدتها ربة بيت إلى أن كبر الأولاد، فعملت سكرتيرة في

أحد المصارف. تخرجت في مدارس شيكاغو الثانوية ثم لحقت بأخيها في برينستون، حيث تألق في فريق كرة القدم. في المؤسسة القانونية كانت عضوا في مجموعة الحقوق الفكرية وتخصصت في مجال الترفيه؛ في إحدى المراحل، فكرت بالانتقال إلى لوس أنجلوس أو نيويورك للعمل هناك.

تحدثت ميشيل عن الكثير من الخطط ذلك اليوم، ولم يكن لديها وقت لتتشغل عن خططها، كما قالت - خصوصا مع الرجال. وكانت ضحكاتها مشرقة. لكنني لاحظت أنها ليست في عجلة من أمرها لتعود إلى المكتب. هنالك أمر آخر، ثمة التماعة تتألق في عينيها السوداوين كلما نظرت إليها، تلمح إلى شيء من عدم اليقين، كأنما تعرف في أعماق أعماقها مدى هشاشة الأشياء، فإذا فقدت السيطرة، ولو للحظة واحدة، فسوف تتفكك الخطط وتتهاوى بسرعة. تأثرت نوعا ما بتلك اللمحة من الضعف. وأردت أن أعرف ذلك الجزء منها.

كنا نلتقي طوال الأسابيع التالية يوميا، في المكتبة أو الكافتريا أو خلال النزاهات العديدة التي تنظمها المؤسسة للموظفين والمساعدين القانونيين المؤقتين لإقناعهم بأن الحياة في مهنة المحاماة ليست مجرد ساعات طويلة من البحث في الوثائق ودراساتها. دعنتني إلى حفلة أو اثنتين، متغاضية بلباقة عما في خزانتي من ثياب قليلة، وعرفتني ببعض أصدقائها. ومع ذلك رفضت الخروج في موعد (غرامي) معا. فذلك ليس لائقا كما قالت لأنها المشرفة علي والناصحة لي.

قلت لها: «هذا عذر واه. أي نصيحة قدمتها لي؟ نصائحك لا تتعدى تدريبي على استخدام آلة نسخ الصور، وأفضل المطاعم. ولا أظن أن الشركاء سيعدون الموعد بيننا خرقا خطيرا لسياسة المؤسسة»

هزت رأسها وقالت: «أعتذر»

«حسنا، أنا مستقيل. ما رأيك؟ أنت المشرفة الناصحة. أخبريني، لمن أتوجه بالشكوى»

في نهاية المطاف أذعنت. وبعد نزهة المؤسسة، أوصلتني بسيارتها إلى شقتي، فعرضت عليها تناول البوظة. اشتريت قطعتين وجلسنا على الحاجز في أصيل ذلك

اليوم الحار الرطب. أخبرتها عن عملي في متاجر «باسكن روبنز» للمتاجات عندما كنت مراهقا، وصعوبة الحفاظ على برودة الجسم عندما كنت ألبس المتزر البني وأضع القبعة. فقالت: إنها ظلت مدة سنتين أو ثلاث في مرحلة الطفولة ترفض تناول أي طعام سوى زبدة الفستق والجيلي. قلت: إنني أود لقاء عائلتها. فقالت: إن ذلك يسعدها.

أمضينا بقية الصيف معا. أخبرتها عن التنظيم الاجتماعي، والحياة في إندونيسيا، ورياضة ركوب الأمواج. وأخبرتني عن صديقات الطفولة، ورحلة قامت بها إلى باريس حين كانت في المدرسة الثانوية، وأغنيات ستيفي وندر المفضلة.

لكنني لم أبدأ أفهم ميشيل حقا إلا بعد أن التقيت بأسرتها. فقد تبين لي أن زيارة عائلة روبنسون أشبه بالانضمام فجأة إلى كادر العاملين في فيلم (Leave It to Beaver). هنالك فرازير، الأب الطيب الحليم الذي لم ينقطع يوما عن عمله أو تقوته مباراة لابنه. وهناك ماريان، الأم الجميلة العاقلة التي تخبز كعكة أعياد الميلاد وترتب المنزل، والمتطوعة في المدرسة لتضمن أن يحسن تلاميذها سلوكهم ويؤدي المدرسون الواجب المطلوب منهم. وهناك كريغ، لاعب كرة السلة النجم الطويل القامة، والشقيق الودود والمهذب والمسلي، الذي يعمل مصرفيا استثماريا لكن يحلم بالعمل في مجال التدريب يوما ما. وهناك الأعمام والعمات وأبناء العمومة الذين يأتون متى أرادوا ويجلسون إلى مائدة المطبخ ويأكلون ما طاب لهم، ثم يستمعون إلى مجموعة أسطوانات موسيقى الجاز التي يحتفظ بها الجد ويضحكون ويسهرتون حتى منتصف الليل.

لكن العائلة ينقصها كلب. لأن ماريان لا تحب الكلاب في المنزل.

ما جعل هذه الصورة للأسرة الكريمة أشد تأثيرا حقيقة أن آل روبنسون غالبوا المشقات التي نادرا ما تظهر قصصها على شاشات التلفزيون. هنالك القضايا المعتادة المتعلقة بالعنصرية بالطبع: الفرص المحدودة المتاحة لأبوي ميشيل في شيكاغو خلال الخمسينيات والستينيات؛ الشعور بخطر العنصرية والهلع الذي دفع عائلات البيض إلى الابتعاد عن الحي؛ الطاقة الإضافية المطلوبة من الآباء السود للتعويض عن

الدخل القليل، والعنف المتصاعد في الشوارع، والملاعب التي تعاني من نقص التمويل، والمدارس المتخلفة العاجزة.

لكن ثمة مأساة عصفت بأسرة روبنسون. فحين بلغ والد ميشيل الثلاثين، أي في ذروة عطاء حياته، تبين بالتشخيص أنه يعاني تصلب الأعضاء والعضلات. وظل طوال السنوات الخمس والعشرين التالية، رغم تدهور حالته، يتحمل مسؤولية عائلته دون أن يشفق على نفسه: أصبح يستيقظ في الصباح قبل ساعة من الموعد المعتاد للذهاب إلى العمل، ويكافح لأداء كل حركة جسدية، من قيادة السيارة إلى ارتداء قميصه، دون أن ينسى ابتسامته ودعايته والقبلة المعتادة لابنته كل يوم. وداوم على الذهاب إلى الملعب لمشاهدته ابنه - مع عرج خفيف في البداية ثم بمساعدة عكازين، والعرق يتصبب من رأسه الأملع.

بعد زواجنا، ساعدتني ميشيل على فهم التأثير الخفي الذي مارسه مرض والدها على العائلة؛ العبء الثقيل الذي أجبرت الأم على حمله؛ الحدود المرسومة بدقة حول حياة الأسرة، حيث يجب التخطيط بعناية حتى لنزهة بسيطة من أجل تجنب المشكلات والإرباك والإحراج؛ وكيف تبدو الحياة المتخبطة مرعبة ومروعة تحت قناع الابتسامات والضحكات.

لكنني لم أجد آنذاك سوى المتعة في منزل آل روبنسون. وبالنسبة لشخص مثلي، لا يكاد يعرف أباه، وأمضى جزءا كبيرا من حياته مترحلا من مكان إلى مكان، وتبعثرت جذوره في الاتجاهات كلها، حرك البيت الذي بناه فرازير وماريان روبنسون، لهما ولأبنائهما، توقفا جارفا للاستقرار وإحساسا بالمكان لم يدرك قبلا وجودهما في داخله. مثلما وجدت ميشيل في رفقتي حياة تملؤها المغامرة والمخاطرة والسفر إلى بلاد غريبة ربما - أفقا أوسع مما سمحت به لنفسها سابقا.

بعد ستة أشهر من لقائنا، توفي والدها فجأة نتيجة مضاعفات عملية أجريت على كليته. عدت إلى شيكاغو ووقفت أمام قبره، ووضعت ميشيل رأسها على كتفي. فوعدهت أن أعتني بابنته. وشعرت بطريقة لا تعبر عنها الكلمات بأننا أصبحنا عائلة واحدة.

يشيع هذه الأيام الحديث عن تفكك بنية الأسرة الأمريكية. إذ يزعم المحافظون، اجتماعيا، أن العائلة التقليدية تتعرض لهجوم كاسح من أفلام هوليوود ومواكب المثليين في الشوارع. في حين يشير الليبراليون إلى العوامل الاقتصادية - من تجمد الأجور إلى عدم كفاية الرعاية النهارية - التي عرضت العائلات لتهديد متزايد. ثقافتنا الشعبية تغذي مشاعر الخوف والحذر، وتنتشر حكايات عن نساء سيبقين عانسات إلى الأبد، ورجال راغبين عن الارتباط بالتزامات دائمة، ومراهقين ينخرطون في مغامرات جنسية متهورة لا نهاية لها. لا شيء يبدو مستقرا، كما كانت الحال في الماضي؛ أدوارنا وعلاقاتنا كلها متاحة لمن هب ودب كي يأخذها.

نظرا لهيمنة هذه الحالة من القلق والانزعاج، قد يكون من المفيد تذكير أنفسنا بأن مؤسسة الزواج لن تختفي قريبا. وصحيح أن معدلات الزواج انخفضت بشكل ثابت منذ الخمسينيات، إلا أن جزءا من هذا الانخفاض يعود إلى أن مزيدا من الأمريكيين يؤخرون زواجهم لاستكمال تعليمهم أو اختيار مهنة راسخة لهم؛ لكن في سن الخامسة والأربعين، تكون 89% من النساء و83% من الرجال قد ارتبطوا بعلاقة زواج مرة واحدة على الأقل. وما زالت 67% من العائلات مكونة من رجل وامرأة جمعتهما علاقة زواج، والأغلبية الساحقة من الأمريكيين ما يزالون يعدون الزواج أفضل ركيزة للعلاقة الحميمة الشخصية، والاستقرار الاقتصادي، وتربية ورعاية الأطفال.

ومع ذلك، لا يمكن إنكار حقيقة أن طبيعة العائلة قد تغيرت خلال السنوات الخمسين الأخيرة. وعلى الرغم من أن معدلات الطلاق انخفضت بنسبة 21% عن الذروة التي بلغت في أواخر السبعينيات وأوائل الثمانينيات، ما زال نصف الزوجات الأولى ينتهي بالطلاق. ومقارنة بأجدادنا، نعد أكثر تساهلا مع العلاقات الجنسية السابقة على الزواج، وأكثر استعدادا للمعاشرة دون زواج، وميلا إلى العيش دون شريك. نحن أيضا أكثر ميلا إلى تربية الأطفال في أسر غير تقليدية؛ 60% من جميع حالات الطلاق تخلف أطفالا، و33% من الأطفال يولدون من علاقات غير شرعية، و34% من الأطفال لا يعيشون في كنف آبائهم البيولوجيين.

تشدد حدة هذه النزعات بين الأمريكيين الأفارقة، حيث من العدل القول إن العائلة النووية على شفا الانهيار. ومنذ عام 1950، انخفض معدل زواج النساء السود من 62% إلى 36%. وبين عامي 1960 - 1995، انخفض عدد الأطفال الأمريكيين الأفارقة الذين يعيشون مع أبوين متزوجين بأكثر من 50%؛ واليوم، يعيش 54% من الأطفال السود في أسر وحيدة الأب/ الأم، مقارنة بنسبة 23% لدى الأطفال البيض.

فيما يتعلق بالبالغين، تختلط تأثيرات هذه التغييرات على أقل تقدير. إذ تشير الأبحاث والدراسات إلى أن المتزوجين، في المعدل المتوسط، يعيشون حياة أكثر صحة وثراء وسعادة، لكن ذلك لا يعني القول إن الرجال والنساء يستفيدون من السقوط في فخ زيجات سيئة أو مهينة. ومن المؤكد وجود معنى منطقي وراء قرار الأعداد المتزايدة من الأمريكيين بتأخير زواجهم؛ إذ لا يقتصر الأمر على أن اقتصاد المعلومات اليوم يتطلب مزيداً من التعليم والدراسة فقط، بل أظهرت الدراسات أن الأشخاص الذين ينتظرون حتى بلوغ أواخر العشرينيات أو أوائل الثلاثينيات من العمر للزواج، يرجح أن تستمر حياتهم الزوجية مدة أطول من أولئك الذين يتزوجون في عمر مبكر.

لكن مهما كان حجم التأثير في البالغين، فإن هذه النزعات أضرت بالأطفال. فالعديد من الأمهات العازبات - ومنهن أمي - يكافحن ويجاهدن جهاد الأبطال من أجل أولادهم. ومع ذلك، يزيد احتمال فقر الأطفال الذين يعيشون في كنف أمهات عازبات بمقدار خمس مرات مقارنة بالأطفال الذين يعيشون في كنف والديهم الاثنتين. والأطفال الذين يعيشون تحت رعاية الأمهات العازبات أكثر احتمالاً للتسرب من المدرسة وإقامة علاقات جنسية (ظاهرة الآباء والأمهات المراهقين)، حتى حين نلغي عامل الدخل. تشير الأدلة إلى أن الأطفال الذين يعيشون في كنف آبائهم وأمهم البيولوجيين يتفوقون، في المعدل الوسط، على الذين يعيشون مع غير آبائهم أو مع أبوين لا تجمعهما علاقة زواج شرعية.

في ضوء هذه الحقائق، تعد السياسات التي تقوي رابطة الزواج لمن يختارونه وتعيق الولادات غير المرغوبة خارج إطار الزواج أهدافاً منطقية ومعقولة يجب السعي إليها. على سبيل المثال، يتفق معظم الناس على وجوب ألا تعاقب برامج الرعاية الاجتماعية

الاتحادية وقانون الضرائب المتزوجين؛ ولذلك تحظى جوانب إصلاح برنامج الرعاية الاجتماعية التي أقرت في عهد كلينتون وتلك العناصر المتضمنة في الخطة الضريبية التي وضعها بوش بدعم قوي من الحزبين كليهما.

الأمر ذاته ينطبق على توقي الحمل في سن المراهقة. إذ يتفق الجميع على أن حمل المراهقات يعرض الأم والطفل معاً لأخطار أنواع المشكلات كلها. ومنذ عام 1990، انخفض معدل حمل المراهقات بنسبة 28%، وهذا خبر سار دون شك. لكن ولادات الأمهات المراهقات ما تزال تمثل قرابة ربع الولادات التي تحدث خارج إطار الزواج الشرعي، والأمهات المراهقات أكثر احتمالاً لإنجاب مزيد من الأطفال خارج إطار الزواج الشرعي مع تقدمهن بالعمر. لقد تبين أن للبرامج المجتمعية المرتكز سجالاً مثبتاً في توقي حالات الحمل غير المرغوب فيها - عبر تشجيع التعفف والاستخدام الصحيح لوسائل منع الحمل - وتستحق دعماً واسع النطاق.

أخيراً، تظهر الأبحاث الأولية أن ورشات العمل التثقيفية فيما يتعلق بالزواج يمكن أن تحدث farkاً حقيقياً في مساعدة المتزوجين على البقاء معاً وتوطيد رابطة أطول عمراً بينهم. ويجب أن يتفق الجميع على أهمية توسيع مدى وإتاحة هذه الخدمات لتشمل الأزواج من ذوي الدخل المحدود، ربما بالتناغم مع التدريب المهني والتوظيف، والرعاية الطبية الشاملة، وغيرها من الخدمات المتاحة.

لكن فيما يتعلق بالعديد من المحافظين (اجتماعياً)، لا تعد هذه المقاربات البديهية كافية. فهم يريدون العودة إلى حقبة سالفة، حين كانت الجنسية خارج إطار الزواج تتعرض إلى العقاب والعار، والحصول على الطلاق أشد صعوبة بكثير، ولا يحقق الزواج الرضى الشخصي فقط، بل يحدد بدقة الأدوار الاجتماعية للرجال والنساء. وبرأيهم، فإن أي سياسة حكومية تبدو أنها تكافئ أو حتى تقف على الحياد إزاء ما يعدونه سلوكاً فاجراً ومنافياً للأخلاق - مثل تقديم وسائل تحديد النسل للشباب، أو خدمات الإجهاض للنساء، أو الرعاية الاجتماعية للأمهات العازبات، أو الاعتراف القانوني بالروابط التي تجمع المثليين - يبغض قيمة وأهمية الرابطة الزوجية. مثل هذه السياسات تقربنا خطوة، كما تقول الحجة، نحو عالم جريء

جديد تمحى فيه فوارق الجندر (النوع الاجتماعي)، ويصبح الجنس متعة خالصة، والزواج رابطة يسهل حلها، والأمومة حالة مزعجة، والحضارة نفسها تركز على قاعدة من الرمال المتحركة.

أتفهم الدافع لاستعادة إحساس بالنظام إلى ثقافة في حالة من التغيرات المتتابة والمستمرة. وأقدر بالتأكيد رغبة الآباء في حماية أبنائهم من القيم التي يعدونها وبيلة وضارة؛ إحساس أقتاسمه معهم حين أستمع إلى كلمات الأغاني من المذياع.

لكن على وجه العموم، لا أتعاطف كثيرا مع أولئك الذين يحملون الحكومة مهمة فرض الأخلاق الجنسية بالقوة. وعلى شاكلة معظم الأمريكيين، أعد القرارات المتعلقة بالجنس والزواج والطلاق والحمل من الأمور الشخصية — وتقع في صميم نظامنا القائم على الحرية الفردية. أما حين تزيد مثل هذه القرارات الشخصية احتمال إيقاع الأذى البالغ بالآخرين — كإساءة معاملة الأطفال، أو سفاح القربى، أو تعدد الزوجات أو الأزواج، أو العنف الأسري، أو الإخفاق في رعاية وإعالة الأولاد — يصبح من حق المجتمع وواجبه التدخل (أولئك الذين يعتقدون أن الجنين كائن حي يتمتع بكامل حقوق البشر يصنفون الإجهاض ضمن هذه الفئة). وفيما وراء ذلك، ليست لدي رغبة في تدخل الرئيس أو الكونغرس أو البيروقراطية الحكومية لتنظيم ما يحدث في غرف نوم الأمريكيين.

فضلا عن ذلك، لا أعتقد أننا نقوي ونعزز الأسرة عبر إجبار أو إكراه الناس على إقامة علاقات نعدّها مفيدة لهم — أو عبر إنزال العقاب بأولئك الذين لا يلتزمون معاييرنا فيما يتعلق بالآداب السلوكية الجنسية. أريد أن أشجع الشباب على إظهار مزيد من الاحترام للعلاقة الجنسية والحميمة، وأصفق استحسانا للآباء والتجمعات الكنسية والبرامج المجتمعية التي تنقل وتبث هذه الرسالة. لكنني لست مستعدا لقبول حصر المراهقة في حياة من المعاناة بسبب حرمانها من وسائل منع الحمل. أريد من كل شريكين أن يفهما قيمة ما يستتبعه الزواج من التزام وتضحيات. لكنني لست مستعدا لاستخدام قوة القانون لإبقائهما معا بغض النظر عن ظروفهما الشخصية.

لربما تمنعني طرائق القلب البشري الشديدة التنوع، وحياتي التي تفتقد الكمال والمثالية، من تنصيب نفسي قاضيا مؤهلا للحكم في محكمة الأخلاق. أعرف تماما أننا طوال السنوات الأربع عشرة من زواجنا، لم نختلف أنا وميشيل نتيجة ما يفعله الآخرون في حياتهم الشخصية.

ما تجادلنا حوله - مرارا وتكرارا - هو كيف نوازن بين العمل والعائلة بطريقة عادلة لميشيل ومفيدة للبتين. لسنا الوحيدين في ذلك. في الستينيات وأوائل السبعينيات، مثلت العائلة التي ترعرعت فيها ميشيل القاعدة لا الاستثناء - أكثر من 70% من العائلات لديها والدة في المنزل وتعتمد على الوالد بوصفه المعيل الوحيد.

اليوم، انعكست هذه الأرقام. 70% من الأسر التي لديها أطفال يعيها أبوان عاملان أو أب أو أم عاملة. أما النتيجة فهي ما دعته مستشارتي في شؤون السياسة والخبيرة في شؤون الأسرة العاملة، كارين كورنبلوه، «عائلة الحواة» التي تلعب بعدة كرات في وقت واحد: حيث يكافح الأبوان لدفع الفواتير، والعناية بالأطفال، والحفاظ على الأسرة والمنزل، والمحافظة على العلاقة بينهما. لكن أداء جميع هذه المهام معا يوقع أضرارا بحياة الأسرة. وكما شرحت كارين حين عملت مديرة لبرنامج العمل والأسرة في مؤسسة أمريكا الجديدة، وأدلت بشهادتها أمام لجنة مجلس الشيوخ الفرعية المعنية بالأطفال والأسر:

اليوم، تقلصت المدة التي يقضيها الأمريكيون مع أطفالهم أسبوعيا بمعدل 22 ساعة مقارنة بحالهم عام 1969. وملايين الأطفال يتركون في مراكز غير مرخصة للرعاية النهارية كل يوم - أو وحدهم في المنزل حيث يقوم جهاز التلفزيون مقام جليسة الأطفال. وخسرت الأمهات العاملات زهاء ساعة من النوم كل يوم في محاولتهن للتكيف مع الوضع. وأكدت البيانات التي جمعت حديثا أن الآباء الذين لديهم أطفال في سن المدرسة يظهرون أمارات قوية على الإجهاد والتوتر - وهذه تؤثر في إنتاجيتهم وعملهم - حين تفتقد وظائفهم المرونة ولا يجدون رعاية نهارية مستقرة لهم بعد انتهاء الدوام في المدرسة.

هل يبدو ذلك كله مألوفاً؟

يشير العديد من المحافظين (اجتماعياً) إلى أن هذا السيل العارم من النساء اللاتي يخرجن من المنزل وينطلقن إلى العمل ما هو إلا عاقبة مباشرة للأيديولوجية النسوية، ومن ثم يمكن عكسه إذا عادت المرأة إلى رشدها ورجعت إلى أداء دورها التقليدي كربة منزل. صحيح أن الأفكار المتعلقة بالمساواة لعبت دوراً حاسماً في تغيير مكان العمل؛ ومثلت الفرصة المتاحة للمرأة لكي تعمل وتحقق الاستقلال الاقتصادي وتظهر مواهبها على قدم المساواة مع الرجل، أحد أعظم الإنجازات في الحياة الحديثة في أذهان معظم الأمريكيين.

لكن فيما يتعلق بالنساء الأمريكيات في المعدل المتوسط، لا يعد قرار العمل خارج المنزل مجرد أمر يتصل بتغيير المواقف، بل بعدم تخطي الإنفاق حدود الدخل.

لنفكر بالحقائق ملياً. خلال السنوات الثلاثين الماضية، ازداد ما يكسبه الرجل الأمريكي العادي بنسبة تقل عن 1% بعد حساب التضخم. في هذه الأثناء، ارتفعت تكاليف كل شيء، من السكن إلى الرعاية الصحية إلى التعليم، بشكل ثابت ومستمر. أما ما منع الأغلبية الساحقة من العائلات الأمريكية من السقوط من الطبقة الوسطى فهو راتب الأم العاملة. في كتاب اليزابيث وارن وأميلييا تياغي «فخ المدخولين»، إشارة إلى أن الدخل الإضافي الذي تجلبه الأمهات إلى المنزل لا يبذل على المواد الكمالية. بل يذهب جميعه تقريباً على شراء ما تعتقد الأسر أنه استثمارات في مستقبل الأولاد - تعليم ما قبل سن المدرسة، رسوم الجامعة، والأهم منزل في حي سكني آمن فيه مدارس عامة جيدة. وفي الحقيقة، فإن نتيجة هذه التكاليف الثابتة والنفقات الإضافية للأم العاملة (خصوصاً تكاليف الرعاية النهارية للأطفال والسيارة الثانية)، تحصل الأسرة ذات المدخولين على دخل أقل تحت تصرفها - ودرجة أدنى من الأمان المالي - مقارنة بنظيرتها المعتمدة على مدخول واحد قبل ثلاثين سنة.

إذن، هل يمكن للأسرة العادية العودة إلى الحياة المعتمدة على المدخول الواحد؟ يتعذر ذلك حين تعتمد كل أسرة في الحي على مدخولين اثنين وترتفع أسعار البيوت

وأقساط المدارس ورسوم الجامعة. وأظهرت وارن وتياغي أن الأسرة المعتمدة على معيل واحد التي تحاول اليوم الحفاظ على أسلوب حياة الطبقة الوسطى يقل دخلها المتوفر بنسبة 60% عن نظيرتها في السبعينيات. بكلمات أخرى، يعني بقاء الأم في المنزل بالنسبة لمعظم العائلات العيش في أحياء سكنية أقل أمانا وانتساب أولادها إلى مدارس أدنى مستوى.

معظم الأمريكيين ليسوا مستعدين لاتخاذ هذا الخيار. بدلا من ذلك، يبذلون قصارى جهدهم ضمن الظروف السائدة، وهم يعرفون أن ذلك النوع من الأسرة التي ترعرعوا فيها - الأسرة التي ربي فيها فرازير وماريان روبنسون أولادهما - أصبح من الأصعب الحفاظ عليه.

اضطر الرجال والنساء معا إلى التكيف مع هذه الحقائق الجديدة. لكن يصعب مخالفة ميشيل حين تلح بإصرار على أن أعباء الأسرة الحديثة يقع حملها الأكبر على عاتق النساء.

خلال السنوات القليلة الأولى من زواجنا، قمنا أنا وميشيل بإجراء التعديلات المعتادة التي ينبغي على المتزوجين إجراؤها: تعلم قراءة الحالة المزاجية، وقبول الخصال والعادات الغريبة لكل منا. ميشيل تحب الاستيقاظ باكرا ولا تستطيع مغالبة النعاس بعد العاشرة ليلا. أنا مغرم بالسهر ويمكن أن تسوء طباعي قليلا (أغدو لئما كما تقول ميشيل) خلال نصف الساعة الأولى من نهوضي من السرير. نظرا لأنني كنت أعمل على تأليف كتابي الأول من جهة، وربما لأنني عشت معظم حياتي بوصفي الطفل الوحيد، كثيرا ما كنت أمضي الأمسيات في مكتبي خلف شقتنا؛ وما عدتُ أمرا عاديا ترك ميشيل تشعر بالوحدة. اعتدت على الدوام ترك الزبدة خارج الثلاجة بعد تناول الفطور ونسيان ربط كيس الخبز؛ في حين لا تعد ميشيل جمع بطاقات وقوف السيارة في المرأب واجبا مفروضا على أحد.

لكن على الأغلب، كانت تلك السنوات المبكرة مترعة بالمسرات العادية - الذهاب إلى السينما، تناول العشاء مع الأصدقاء، حضور الحفلات الموسيقية بين الحين

والآخر. كنا نعمل ونكدح معا: كنت أمارس المحاماة في مؤسسة صغيرة متخصصة بقضايا حقوق الإنسان، وبدأت التدريس في كلية الحقوق بجامعة شيكاغو، في حين قررت ميشيل ترك المحاماة، أولاً للعمل في إدارة التخطيط في شيكاغو، ثم في إدارة فرع شيكاغو لبرنامج خدمات وطني يدعى «بويليك الايز» تقلصت المدة التي نقضيها معا أكثر حين قررت الترشح لمجلس شيوخ الولاية، لكن على الرغم من أوقات الغياب الطويلة ونفور ميشيل من السياسة عموماً، فقد أيدت القرار؛ كانت تقول: «أعلم أنك تريد ذلك» في الليالي التي كنت أقضيها في سبرينغفيلد، كنا نتحدث ونضحك عبر الهاتف، وننتقاسم الدعابات والإحباطات الناجمة عن ابتعاد أحدهما عن الآخر، ثم أنام قريير العين وواقفا من الحب الذي يجمعنا.

ثم ولدت ماليا، في الرابع من يوليو، ذكرى استقلالنا، هادئة وجميلة، لها عينان واسعتان ساحرتان بدا وكأنهما تقرأن العالم لحظة فتحتها. أتت ماليا في وقت مثالي لكلينا: كان المجلس والجامعة في عطلة الصيف، وتمكنت من قضاء كل مساء في المنزل؛ في هذه الأثناء، قررت ميشيل قبول عمل بدوام جزئي في جامعة شيكاغو، بحيث تستطيع قضاء مزيد من الوقت مع الطفلة. ولن يبدأ الدوام في الوظيفة الجديدة قبل تشرين الأول/ أكتوبر. بقينا طوال ثلاثة أشهر ساحرة معا، نتجادل ونتحاور وتتأبنا الهواجس حول الطفلة: نقترّب من سريرها لننتيقن أنها تتنفس، نستجدي بالملاطفة ابتهامتها، نغني لها، نلتقط الصور معها، إلى درجة أننا بدأنا نقلق على عينيها. وفجأة، تبين أن اختلاف نظامنا الحيوي كان مفيدا: حين تنام ميشيل باكرا، أسهر أنا حتى الواحدة أو الثانية صباحا، أغير «الحفاضات»، وأدقّ الحليب، وأشعر بأنفاس ابنتي الرقيقة على صدري حين أهبها لتنام، وأحاول أن أحزر أحلامها الطفولية.

لكن حين أتى الخريف - عندما بدأت الدروس في الجامعة، وبدأ الفصل التشريعي في المجلس، وعادت ميشيل إلى العمل - لاحظت نذر التوترات في علاقتنا. كثيرا ما كنت أغيب عن المنزل ثلاثة أيام متواصلة، وحتى حين أعود إلى شيكاغو، كنت مضطرا لحضور الاجتماعات المسائية، أو تصحيح أوراق امتحانات الطلاب، أو كتابة بعض الملخصات. أما ميشيل فقد وجدت أن العمل بدوام جزئي يتوسع ويمتد بطريقة

مضحكة. عثرنا على جليسة أطفال رائعة مقيمة في المنزل لرعاية ماليا حين نكون في العمل، لكن راتبها زاد الضغط على ميزانيتنا.

لم يعد لدينا وقت لتبادل الحديث، فضلا عن الغرام، بسبب التعب والشدة والإرهاق. وحين بدأت حملتي الانتخابية المنكودة إلى مجلس شيوخ الولاية، لم تخف ميشيل امتعاضها من قراري. فجأة لم يعد من المحبب لديها امتناعي عن تنظيف المطبخ، ولم تعد تبادلني قبلة الوداع في الصباح. وبحلول الوقت الذي ولدت فيه ساشا- التي شابها في الجمال والهدوء - لم تعد زوجتي تستطيع احتواء غضبها على ما يبدو.

كانت تقول لي: «أنت لا تفكر إلا بنفسك. لم أحسب أبدا أنني سأرعى عائلة وحدي»

استفزقتني مثل هذه الاتهامات؛ واعتقدت أنها ظالمة. فعلى الرغم من كل شيء، أنا لا أذهب للسهر والعريضة مع أصدقائي كل ليلة. ولا أطلبها بالكثير - إذ لم أنتظر منها أن ترفض جواربي أو تحضر العشاء وتنتظرنني حين أعود إلى المنزل. وكنت كلما استطعت أسهم في رعاية الطفلتين. وكل ما أطلبه بالمقابل بعض الرقة والحنان. لكن بدلا من ذلك، وجدت نفسي في خضم مفاوضات لا تنتهي حول جميع تفاصيل إدارة شؤون المنزل، وأمام لوائح طويلة بالمهمات التي يجب أن أؤديها أو نسييت أداءها، وفي موقف محرج دوما. ذُكرت ميشيل أننا عائلة محظوظة إلى حد لا يصدق مقارنة بمعظم العائلات الأخرى. وأني أحبها وأعشق البننتين على الرغم من جميع مثالي وعبوي. وأعتقد أن حبي سيكون كافيا. فبرأيي، ليس ثمة سبب يدعوها للشكوى.

لم أبدأ تقدير حجم ما عانتة ميشيل آنذاك، وكفاحها وكدها المميزين للأمر العاملة اليوم، إلا بعد تأمل عميق واختبارات ومحن تلك السنين وذهاب البننتين إلى المدرسة. فبغض النظر عن مدى الحرية التي أحببت أن أتمتع بها - وكنت قلت لنفسي إننا شريكان متساويان، وأحلامها وطموحاتها مهمة مثل طموحاتي وأحلامي - فإن الحقيقة أن ميشيل، ولست أنا، هي التي كان من المطلوب منها إجراء التعديلات

الضرورية على حياتها حالما أتت البنتان. صحيح أنني قدمت بعض المساعدة، لكنها كانت وفقا لشروطي، وتبعاً لبرنامجي. في هذه الأثناء، وجب عليها أن تتخلى عن عملها مؤقتاً، وترعى البنتين كل يوم. فإذا مرضت إحداهما، أو لم تأت الجليسة، كان عليها أن تتصل وتعتذر عن الحضور إلى العمل.

لم يقتصر الأمر على أن المهمة الشاقة للتوفيق بين العمل ورعاية الطفلتين جعلت وضع ميشيل على هذه الدرجة من الصعوبة فقط. بل حقيقة أنها لم تكن تبلي بلاء حسناً في أي منهما من وجهة نظرها. بالطبع لم يكن ذلك صحيحاً؛ فرب عملها كان معجباً بها، وشهد الجميع بنجاحها كأم. لكنني بدأت أعرف أن هناك رؤيتين اثنتين تتصارعان في ذهنها - الرغبة في أن تشبه أمها بكل ما اتصفت به من صلابة وموثوقية، وحب ورعاية لأولادها؛ والرغبة في التفوق في مهنتها، وترك أثر يخلدها في هذه الدنيا، وتنفيذ جميع تلك الخطط التي عرفتها في أول يوم التقينا معا.

في النهاية، أدين بالفضل لقوة ميشيل - استعدادها لمعالجة تلك التوترات وتقديم التضحيات من أجلي ومن أجل البنتين - على تجاوزنا تلك الأوقات الصعبة. لكن كان لدينا أيضاً موارد في متناولنا لم يمتلكها العديد من الأسر الأمريكية. أولاً، وضعنا كمهنيين سمح لنا بإعادة ترتيب برامجنا والتعامل مع حالات الطوارئ (أخذ يوم إجازة مثلاً) دون التعرض لخطر فقدان الوظيفة. في حين أن 57% من الأمريكيين لا يتمتعون بهذا الترف؛ وفي الحقيقة، فإن معظمهم لا يستطيعون أخذ يوم إجازة لرعاية أطفالهم دون خسارة أجره أو حسمه من أيام الإجازة السنوية. وفيما يتعلق بالآباء الذين يحاولون وضع برامج وجداول مواعيد خاصة بهم، كثيراً ما تعني المرونة العمل في وظيفة مؤقتة أو بدوام جزئي دون ارتقاء على السلم الوظيفي ودون تعويضات ومكاسب إضافية.

كنا أنا وميشيل نحصل أيضاً على دخل كاف لدفع جميع نفقات الخدمات التي تساعد على التخفيف من حدة الضغوط التي تعاني منها الأسر التي يعيلها الأبوان معا: رعاية موثوقة ويعتمد عليها للأطفال، جليسة أطفال كلما احتجنا إليها، وجبات عشاء من المطاعم نحضرها حين لا نجد الوقت أو الطاقة للطبخ في المنزل، خادمة

تأتي مرة في الأسبوع لتنظيف البيت، مدرسة حضانة خاصة للبنتين، معسكرات صيفية حين بلغتا عمرا مناسباً. مثل هذه المساعدة بعيدة، مالياً، عن تناول معظم الأسر الأمريكية. فتكلفة الرعاية النهارية مرتفعة على نحو خاص؛ والولايات المتحدة هي الوحيدة من بين البلدان الغربية التي لا توفر خدمات الرعاية النهارية المدعومة من الحكومة والجيدة النوعية إلى عمالها جميعاً.

أخيراً، كانت والدة ميشيل تسكن على بعد خمس عشرة دقيقة من بيتنا. صحيح أنها في أواخر الستينيات لكنها تبدو أصغر عمراً بعشر سنين، وفي السنة الماضية، حين عادت ميشيل إلى العمل بدوام كامل، قررت ماريان (الأم) تخفيض عدد ساعات عملها في المصرف، بحيث تستطيع أخذ البنتين من المدرسة والعناية بهما في فترة ما بعد الظهر. مثل هذا العون ليس متاحاً للعديد من العائلات الأمريكية؛ وفي الحقيقة، فإن الوضع معكوس بالنسبة للعديد من الأسر - تقديم أحد أفراد العائلة الرعاية لأب طاعن في السن يعد أولوية من أولوياتها.

وبالطبع، يستحيل على الحكومة الاتحادية أن تضمن لكل أسرة «حماة» مدهشة تتمتع بصحة جيدة وشبه متقاعد وقيم في منزل قريب. لكن إذا كنا نهتم جدياً بقيم العائلة، يمكننا اتباع سياسات مناسبة تجعل العمل خارج المنزل وداخله أمراً أكثر سهولة. نستطيع البدء بإنشاء مراكز جيدة النوعية للرعاية النهارية متاحة لكل أسرة تحتاجها. فخلافاً لمعظم البلدان الأوروبية، تفتقر الرعاية النهارية في الولايات المتحدة إلى التخطيط والتنسيق. ويمكن لتحسين معايير الترخيص والتدريب لمراكز الرعاية النهارية، وتوسيع الائتمانات الضريبية لرعاية الأطفال على المستوى الاتحادي ومستوى الولاية، وتقديم الدعم الحكومي للأسر المحتاجة، يمكنها جميعاً أن توفر لآباء أسر الطبقة الوسطى والمحدودة الدخل شيئاً من هدوء البال خلال يوم العمل - وتفيد أرباب العمل عبر خفض معدلات التغيب عن العمل.

حان الوقت أيضاً لإعادة تنظيم وتصميم مدارسنا - لا من أجل الآباء والأمهات العاملين فقط، بل لتهيئة وإعداد أطفالنا لعالم تزداد فيه حدة المنافسة. لقد أكد عدد لا يحصى من الدراسات الفوائد التعليمية لبرامج ما قبل مرحلة المدرسة، ولهذا

السبب تسعى حتى الأسر التي لا يعمل فيها الأبوان إلى إلحاق أطفالها بها. والشيء ذاته ينطبق على زيادة ساعات الدوام في المدرسة، والمدارس الصيفية، وبرامج ما بعد الدوام في المدرسة. ولا ريب في أن إتاحة هذه الفوائد لجميع الأطفال سوف تكلف مالا، لكن بوصفها جزءا من الجهود الواسعة لإصلاح حال المدارس، يجب علينا، كمجتمع، أن نستعد لتحمل التكلفة.

فوق كل شيء، نحن بحاجة إلى التعاون مع أرباب العمل لزيادة مرونة ساعات الدوام. إدارة كلينتون اتخذت خطوة في هذا الاتجاه عبر قانون الأسرة والإجازة الطبية، لكن لأنه ينطبق على الإجازة غير مدفوعة الأجر والشركات التي تضم أكثر من خمسين موظفا فقط، لم يتمكن معظم العمال الأمريكيين من الاستفادة منه. ومع أن جميع الدول الغنية الأخرى (باستثناء واحدة) تتبع صيغة من صيغ إجازة الأمومة المدفوعة الأجر، إلا أن معارضة قطاع الأعمال للإجازة المدفوعة الأجر كانت ضارية، وذلك بسبب القلق من التأثير السلبي على الأعمال التجارية الصغيرة.

مع قليل من الإبداع، يجب أن نتمكن من التغلب على هذه الورطة. كاليفورنيا بدأت حديثا تطبيق الإجازة المدفوعة الأجر، من خلال صندوق ضمان العجز، لكن مع تيقن ألا يتحمل أرباب العمل وحدهم التكلفة.

يمكننا أيضا التعامل بمرونة مع الآباء والأمهات لتمكينهم من تلبية احتياجاتهم اليومية. والعديد من الشركات الكبرى تعرض على موظفيها دواما مرنا، وهذا أدى إلى ارتفاع معنوياتهم وتقليص معدل تبديل الوظائف. أما بريطانيا فقد ابتكرت مقاربة جديدة لحل المشكلة - كجزء من «حملة التوازن بين العمل والحياة» التي تحظى بشعبية كبيرة، حيث يحق للآباء الذين تقل أعمار أطفالهم عن ست سنوات الطلب من أرباب العمل تغيير موعد دوامهم. صحيح أن أرباب العمل ليسوا ملزمين بالموافقة، لكن عليهم الاجتماع مع الموظفين للتفكير بالأمر؛ ونجح حتى الآن ربع الآباء البريطانيين المتمتعين بهذا الحق في العمل بدوام يناسب الأسرة دون حدوث أي انخفاض في الإنتاجية. ومع توليفة تجمع رسم مثل هذه السياسة المبتكرة، والمساعدة التقنية، وزيادة الوعي، يمكن للحكومة أن تعين الشركات والمنشآت التجارية على مساعدة موظفيها بنفقات رمزية.

وبالطبع لا يحتاج أي من هذه السياسات إلى منع العائلات من إبقاء أحد الأبوين في المنزل، بغض النظر عن التضحيات المالية. ففيما يتعلق ببعض العائلات، قد يعني ذلك حرمانها من بعض وسائل الراحة المادية. وبالنسبة لغيرها، قد يعني الدراسة في المنزل، أو الانتقال إلى حي تتخفف فيه تكلفة المعيشة. وبالنسبة لعائلات أخرى، قد يضطر الأب إلى البقاء في المنزل - مع أن الأم تقوم بدور مقدم الرعاية الرئيس في غالبية الأسر.

ومهما كانت الحالة، يجب احترام مثل هذه القرارات. فإذا أصاب المحافظون بشيء فهو أن ثقافتنا الحديثة تخفق أحيانا في تقدير قيمة المساهمات الاستثنائية، العاطفية والمالية - التضحيات والكبح - لربة المنزل. أما ما أخطأ فيه المحافظون فهو الإصرار على أن هذا الدور التقليدي أصيل وفطري - نموذج الأمومة الأفضل أو الوحيد. أريد لابنتي أن تختار ما هو أفضل لها ولأسرتها. ولن يعتمد ذلك على جهدها وموقفها فقط، بل على رجال - ومجتمع أمريكي - يحترمون ويستوعبون الخيارات التي تتخذها، كما علمتني ميشيل.

«مرحبا يا أبي»

«مرحبا يا حلوتي»

إنه أصيل يوم الجمعة، وقد عدت إلى البيت مبكرا لأرعى البنيتين عندما تذهب ميشيل إلى الحلاق. عانقت ماليا ولاحظت وجود فتاة شقراء في مطبخنا، ترمقني عبر نظارتين كبيرتين.

سألت «من هذه؟»

«هذه سام، جاءت لنذهب للعب معا»

«مرحبا يا سام»، ومددت يدي فترددت قبل أن تصافحني. ونظرت إلي ماليا غير مصدقة.

«اسمع يا أبي.. يجب ألا تصافح الأطفال»

«ألا تفعلون ذلك؟»

قالت ماليا: «لا. حتى المراهقين لا يتصافحون. لربما لم تلاحظ، لكننا في القرن الحادي والعشرين»، ونظرت إلى سام التي كبحت ابتساماً.

«وماذا تفعلون في القرن الحادي والعشرين؟»

«نكتفي بقول: مرحباً، وأحياناً نلوح. هذا يكفي»

«أجل. أمل أنني لم أسبب لك إحراجاً»

ابتسمت ماليا وقالت: «لا بأس يا أبي. أنت لا تعرف، فقد اعتدت مصافحة الكبار»

«هذا صحيح. أين أختك؟»

«في الطابق العلوي»

صعدت إلى الطابق العلوي لأجد ساشا تقف بملابسها الداخلية وصدريّة وردية. عانقتني ثم قالت إنها لا تجد بنطالاً قصيراً تلبسه. بحثت في الخزانة فوجدت واحداً أزرق اللون فوق الدرج.

«ما هذا؟»

عبست ساشا لكنها أخذته على مضض ولبسته. بعد بضع دقائق جلست في حضني.

«هذا البنطال ليس مريحاً يا أبي»

عدنا إلى الخزانة مرة أخرى وفتحنا الدرج ووجدنا بنطالاً قصيراً آخر، أزرق اللون أيضاً. سألتها: «ماذا عن هذا البنطال؟»

قطبت مجدداً، وبدت نسخة مصغرة عن أمها. دخلت ماليا وسام لمراقبة الأزمة.

قالت ماليا مفسرة: «ساشا لا تحب هذه السراويل»

التفت إلى ساشا وسألتها عن السبب. نظرت إلي بحذر وكأنها تقيس طول قامتي.

قالت أخيراً: «الوردي والأزرق لا يتناسقان»

قهقهت مالياً وسام. حاولت أن أبدو متجهماً مثلما تفعل ميشيل في مثل هذه الظروف، وأمرت البنت بارتداء البنطال. أطاعت، لكنني أدركت أنها تنفذ رغبتني. حينما يتعلق الأمر بالبنتين، لا يخدع أسلوب الصارم أحداً.

ومثل العديد من الرجال اليوم، نشأت دون وجود أب في المنزل. فقد انفصل أبي وأمي بالطلاق حين كان عمري سنتين، ولم أعرف أبي إلا عبر الرسائل التي كان يبعث بها أو الحكايات التي ترويها أمي وجدتي. كان هناك رجال في حياتي - عمي زوج أمي الذي عشنا معه أربعة أعوام، وجدتي الذي ساعد جدتي في تربيته، وكلاهما رجل طيب أبدى نحوي كل مودة ورقة ولطف. لكن علاقاتي معهما كانت بالضرورة جزئية وغير مكتملة. في حالة عمي، كان ذلك نتيجة المدة المحدودة التي قضيناها معاً وطبيعته المتحفظة. وصحيح أنني كنت مقرباً من جدتي، لكنه كان طاعناً في السن ويعاني مشكلات كثيرة بحيث لم يتمكن من توجيهي.

النساء، إذن، هن اللاتي وفرن الاستقرار في حياتي - جدتي التي استطاعت بقدرتها العملية العنيدة إنقاذ الأسرة من الغرق، وأمي التي تمكنت بما قدمته من حب وما تمتعت به من صفاء الروح من الإبقاء على عالمنا أنا وشقيقتي مركزاً. وبسبب تضحياتهما لم أشعر بالحاجة قط إلى أي شيء مهم. وسوف آخذ منهما القيم التي استهديت بهديها حتى اليوم.

ومع ذلك، أدركت حين كبرت مدى الصعوبة التي واجهتها أمي وجدتي في تربيته دون وجود رجل قوي في البيت. شعرت أيضاً بالتأثير الذي يخلفه غياب الوالد في الطفل. وقررت أن أحول عدم تحمل والدي مسؤوليته تجاه أولاده، وبعد عمي عني، وإخفاقات جدتي، إلى دروس استخلص منها العبر، وأن يكون لأولادي أب يعتمدون عليه.

بالمعنى الأساس، حققت نجاحاً في هذا السياق. فزواجي مستمر وناجح ولم أتردد في إعالة أسرتي. وأنا أحضر الاجتماعات التي تضم الآباء والمدرسين والحفلات

المدرسية، ولا ينقص ابنتي الحنان والعطف والحب. ومع ذلك، تظل طاقاتي كزوج وأب، من بين جميع المجالات الأخرى، محل شك وريبة.

أدرك أنني لست الوحيد في ذلك؛ فعلى مستوى من المستويات، أعاني العواطف المتناقضة ذاتها التي تلازم الآباء الآخرين في وضع اقتصادي متقلب ومعايير اجتماعية متغيرة. فصورة الأب في خمسينيات القرن العشرين - إعالة أسرته عبر وظيفة يمتد الدوام فيها من التاسعة صباحاً إلى الخامسة مساءً، وتناول العشاء التي تحضره زوجته كل أمسية، وتدريب فريق الشباب، وإجراء بعض التصليحات في المنزل - ما زالت تهيمن على الثقافة بقوة، مثلها مثل صورة الأم ربة المنزل، حتى وإن زادت صعوبة محاسباتها باطراد. وفي نظر الكثيرين اليوم، يعد العجز عن إعالة الأسرة مصدراً للإحباط وحتى للخزي والعار؛ وليس من الضروري أن يكون المرء من دعاة الحتمية الاقتصادية كي يؤمن بأن ارتفاع معدلات البطالة وتدني الأجور يسهمان في عدم تحمل الأب لمسؤولياته وانخفاض معدلات الزواج بين الرجال الأمريكيين الأفارقة.

فيما يتعلق بالعاملين، وبالعاملات أيضاً، تغيرت شروط الاستخدام. وبغض النظر أكان الأب مهنيًا مرتفع الأجر أم مجرد عامل عادي على خط التجميع، فهو يقضي مدة أطول في الوظيفة مقارنة بحاله في الماضي. مثل هذه الوظائف التي تتزايد متطلباتها فيما يتعلق بالدوام متزامنة مع توقع - وفي كثير من الحالات، حاجة - أن يكون الآباء أكثر مشاركة في حياة أبنائهم مقارنة بمشاركة آبائهم في حياتهم.

لكن إذا كانت الفجوة بين مفهوم الأبوة/ الأمومة كما أفكر فيه والواقع الحياتي ليست فريدة، فإن ذلك لا يلغي شعوري بأنني لا أعطي عائلتي دوماً كل ما أستطيع. في عيد الآباء الماضي، دعيت للتحدث أمام أعضاء كنيسة سالم المعمدانية في منطقة ساوث سايد في شيكاغو. لم يكن أمامي نص مكتوب، لكن الموضوع كان: «كيف تصبح رجلاً ناضجاً تمام النضج؟» قلت: «إن الوقت قد حان للرجال عموماً والسود على وجه الخصوص للتخلي عن أعضائهم التبريرية للابتعاد عن عائلاتهم. وذكرت الرجال الحاضرين أن الأبوة تعني أكثر من مجرد رعاية الأطفال؛ وحتى

أولئك الذين لا يغيبون عن بيوتهم جسدياً كثيراً ما يغيبون عنها عاطفياً ووجدانياً؛ ولأن العديد منا لم يكن لديه آباء في المنزل، علينا مضاعفة جهودنا لكسر الحلقة المفرغة؛ وإذا أردنا أن ننقل الآمال والطموحات الكبيرة لأطفالنا، علينا أن نمتلك أولاً مثل هذه الآمال والطموحات».

حين أفكر بما قلت حينئذ، أسأل نفسي أحياناً هل أطبق بالأفعال ما أدعو إليه بالأقوال؟ فعلى الرغم من كل شيء، وخلافاً للعديد من الرجال الذين تحدثت أمامهم ذلك اليوم، لست مضطراً للعمل في وظيفة إضافية أو ليلية لإعالة أسرتي. فقد كان بمقدوري العثور على وظيفة تسمح لي بالبقاء في المنزل كل ليلة أو العثور على عمل بأجر أعلى، تبرر فيه ساعات الدوام الطويلة بعض المكاسب لأسرتي - كأن تقلص ميشيل ساعات عملها مثلاً، أو ندخر مزيداً من المال للبنتين.

بدلاً من ذلك، اخترت حياة مهنية تتسم بسخف برنامجها وساعات دوامها، حياة تتطلب مني الغياب عن ميشيل والبنتين مدة طويلة، وهذا يعرض ميشيل لجميع أنواع الإجهاد والضغط. قد أقول لنفسي إنني بالمعنى الأوسع أعمل بالسياسة من أجل ماليا وساشا، وأن العمل الذي أقوم به سوف يجعل العالم مكاناً أفضل لهما. لكن مثل هذه العقلنة تبدو واهية ومغالية في التجريد إلى حد مؤلم حين تفوتني المشاركة مع البنتين في مأدبة الغداء التي تقيمها المدرسة بسبب التصويت في المجلس، أو أتصل بميشيل لإبلاغها بتمديد الجلسة وضرورة تأجيل العطلة التي قررنا قضاءها معاً. وفي الحقيقة، لم يفلح النجاح الذي حققته في السياسة في تخفيف حدة الشعور بالذنب؛ ومثلما قالت ميشيل ذات مرة، في شبه مداعبة، إن رؤية صورتي في الجريدة أمر مثير أول مرة، لكنها تصبح نوعاً من الإحراج بمرور الزمن.

وهكذا، بذلت قصارى جهدي للرد على الاتهام الذي يهيم على تفكيري - أنا شخص أناني، وهدفي الوحيد هو تدعيم وتضخيم شعوري الأنوي وملء الفراغ في ذاتي. فحين أكون في المدينة، أحاول تناول العشاء في المنزل، وسماع حكايات ماليا وساشا عما جرى خلال اليوم، وقراءة القصص لهما، ووضعهما في السرير. أحاول عدم الارتباط بمواعيد أيام الأحد، وأستغلها في عطلة الصيف لأخذ البنتين إلى

حديقة الحيوانات أو المسبح؛ أما في الشتاء فنزور المتحف أو حوض الأسماك. وأعنف البنيتين برقة ولطف حين تسيئان التصرف، وأحاول تقليص ما تأخذانه من التلفزيون وما تأكلانه من الطعام غير الصحي. أتلقي التشجيع على ذلك كله من ميشيل، مع شعوري في بعض الأحيان أنني انتهكت مجالها الحيوي — وأنتي بغيابي المستمر ربما عززت بعض الحقوق في التدخل في العالم الذي شيده.

وفيما يتعلق بالبنيتين، يبدو أنهما في وضع مزدهر وسعيد على الرغم من غيابي المتواصل. وتلك شهادة دامغة على مهارات الأمومة التي تتمتع بها ميشيل؛ فهي على ما يبدو تمتلك لمسة سحرية حين يتصل الأمر بماليا وساشا، قدرة على رسم الحدود دون شدة أو تصلب. وهي تعمل على ضمان عدم تعديل أسلوب حياة البنيتين كثيراً نتيجة انتخابي إلى مجلس الشيوخ، مع أن التغيير الذي أصاب أطفال الطبقة الوسطى في أمريكا هذه الأيام يماثل ما أصاب الآباء على ما يبدو. لقد ولت تلك الأيام التي كان فيها الأبوان يرسلان طفلهما ليلعب خارج المنزل أو في الحديقة على أن يعود قبل العشاء. فمع أخبار عمليات الاختطاف وشك الآباء بكل ما هو تلقائي وعفوي، أو حتى نتيجة شيء من الكسل، فإن برامج ومواعيد الأطفال تنافس برامج ومواعيد الآباء. هنالك الاجتماعات التي يعقدها الآباء والأمهات ليتيحوا لأطفالهم اللعب معاً، ودروس الباليه واللياقة البدنية والتنس والبيانو، والمباريات الرياضية، وحفلات أعياد الميلاد التي يبدو أنها تقام أسبوعياً. قلت لماليا ذات مرة إنني لم أحضر طوال مرحلة الطفولة أكثر من حفلي عيد ميلاد، ولم يزد عدد الحاضرين في كل منهما عن خمسة أو ستة أطفال. فنظرت إلي كما كنت أنظر إلى جدي حين كان يروي لي قصص حقبه الكساد الكبير، بمزيج من الانسحار وعدم التصديق.

مهمة تنسيق نشاطات البنيتين متروكة في عهدة ميشيل، التي تؤديها بنجاعة وكفاءة. وأتطوع أنا، عندما أستطيع، للمساعدة، وهو أمر تقدره ميشيل، مع أنها حريصة على تقليل حجم مسؤولياتي. ففي اليوم السابق على حفلة عيد ميلاد ساشا في يونيو الماضي، طُلب مني شراء عشرين بالونا، وما يكفي من البيتزا لإطعام عشرين طفلاً، إضافة إلى المتلجات. بدا ذلك أمراً أستطيع تدبره، وعندما قالت ميشيل إنها

ذهبة لتحضر بعض الأكياس لتضع فيها الهدايا والأطعمة ونوزعها عند انتهاء الحفلة، اقترحت أن أقوم أنا بالمهمة، فردت ضاحكة:

«لا يمكنك ذلك. دعني أشرح لك. عليك أن تذهب إلى المتجر وتختار الأكياس، ثم تختار ما ستضعه فيها، ومحتوى أكياس البنات يجب أن يكون مختلفا عن محتوى أكياس الصبيان. عليك أن تتجول في المتجر مدة ساعة، فتشعر أن رأسك سينفجر»

تراجعت ثقتي بنفسي. لكنني عثرت عبر الإنترنت على متجر يبيع البالونات قرب المكان الذي ستقام فيه الحفلة، ومطعم للبيتزا وعد بإرسال ما طلبت في الساعة 3:45. بحلول الوقت الذي بدأ فيه المدعون يأتون في اليوم التالي، كانت البالونات معلقة في مكانها وعلب العصير جاهزة وباردة. جلست مع الآباء الآخرين أراقب زهاء عشرين طفلا وطفلة في نحو الخامسة من العمر يقفزون ويلعبون كجماعة من الأقزام المسحورين المبتهجين. أحسست بشيء من القلق حين لم تحضر البيتزا في الساعة 3:50، لكنها وصلت قبل عشر دقائق من موعد الطعام. كريغ، شقيق ميشيل، هنأني، وميشيل ابتسمت مشجعة وهي تضع قطع البيتزا على الأطباق الكرتونية.

كان الختام مسكا، فبعد أن التهم الأطفال البيتزا وشربوا العصير، وأنشدنا معا «سنة حلوة»، وتناولنا بعض قطع الكاتو، جمع مدرب التمارين الرياضية الأطفال كلهم حول مظلة قديمة متعددة الألوان وطلب من ساشا الجلوس في المركز. وعند العدد حتى ثلاثة، طارت ساشا في الهواء وعادت مرة أخرى. تكررت الحركة البهلوانية ثلاث مرات، وفي كل مرة ارتفعت فيها ضحكت وضحكت من أعماق قلبها.

أسئال هل ستتذكر ساشا تلك اللحظة حين تكبر. لربما لن تذكر؛ إذ يبدو أنني لا أستطيع استعادة سوى نتف من الذكريات من عمر الخامسة. لكنني أحسب أن السعادة التي شعرت بها سوف تعلق إلى الأبد في نفسها؛ هذه اللحظات تتراكم وتنغرس في شخصية الطفل، وتصبح جزءا من ذاته. في بعض الأحيان، حين أسمع ميشيل تتحدث عن والدها، أسمع صدى مثل هذه البهجة في داخلها: الحب والاحترام اللذين حظي بهما فرايزر روبنسون لا عبر الشهرة أو الأعمال المشهودة، بل التصرفات العادية

اليومية - حب اكتسبه لأنه موجود هناك على رأس عائلته. وأسأل نفسي هل ستذكرني البنتان بالطريقة ذاتها.

سرعان ما تغلق نافذة هذه الذكريات. يبدو أن ماليا منذ الآن تنتقل إلى مرحلة جديدة؛ فهي أكثر اهتماما بالفتيان والعلاقات، وبملاستها. كانت على الدوام تبدو أكبر من عمرها، وتتمتع بحكمة استثنائية. في إحدى المرات، حين كانت في السادسة، كنا نتحدث ونحن نسير على شاطئ البحيرة، فسألته دون مقدمات هل نعد عائلة ثرية. قلت إننا لسنا أثرياء فعلا، لكننا نملك ما لا أكثر من معظم الناس. ثم سألتها لماذا تريد أن تعرف.

«كنت أفكر.. وقررت أنني لا أريد أن أكون غنية. أريد أن أعيش حياة بسيطة»

كانت كلماتها مفاجئة إلى حد أنني ضحكت فنظرت إلي وابتسمت، لكن عيناها أكدت أنها تعني ما قالتها.

كثيرا ما أفكر بذلك الحديث بيننا. وأسأل نفسي ما هو رأي ماليا بحياتي التي ليست بسيطة كثيرا. من المؤكد أنها لاحظت أن آباء أفراد فريقها يحضرون المباريات أكثر مني، ولو أزعجها ذلك لما بان عليها، لأنها تميل إلى المحافظة على مشاعر الآخرين، وتحاول رؤية أفضل ما في كل حالة. ومع ذلك، يريحني قليلا التفكير بأن ابنتي التي بلغت الثامنة تحبني إلى حد تتغاضى فيه عن نواقصي وعيوبي.

تمكنت من حضور إحدى مباريات ماليا منذ مدة، حين انتهى الفصل التشريعي قبل أسبوع من الوقت المحدد. كان أصيل يوم صيفي جميل، والعائلات منتشرة في كل مكان حين وصلت، من السود والبيض واللاتين والآسيويين من جميع أنحاء المدينة. نساء يجلسن على الكراسي، ورجال يلعبون الكرة مع أطفالهم، وأجداد يساعدون الأطفال الصغار على الوقوف. وجدت ميشيل وجلست على العشب بجانبها، وأتت ساشا وجلست في حضني. كانت ماليا في الملعب، ضمن جماعة من اللاعبين الذين يحيطون بالكرة. ومع أن كرة القدم (الأمريكية) ليست رياضتها المفضلة - فهي أطول قائمة من أصدقائها، لكن قدميها الصغيرتين لا تتاسبان طول جسمها - إلا أنها تلعب

بطريقة متحمسة وتنافسية جعلتنا نهتف لها ونشجعها. في استراحة ما بين الشوطين، أتت إلى حيث كنا نجلس.

سألتها: «كيف حالك يا صديقة؟»

قالت وهي ترشف الماء: «على أحسن ما يرام! أبي، لدي سؤال»

«هيا»

«هل نستطيع شراء كلب؟»

«ما رأي أمك؟»

«طلبت مني أن أسألك. أعتقد أنني أفنعتها»

نظرت إلى ميشيل، فابتسمت وهزت كتفيها.

قلت: «لماذا لا نؤجل الحديث إلى ما بعد المباراة»

«حسنًا»، ثم قبلتني وهي تشرب جرعة أخرى من الماء وقالت «أنا سعيدة بوجودك»

قبل أن أجيب كانت في الملعب. لوهلة، وفي وهج شمس الأصيل، شعرت وكأنني رأيت المرأة التي ستكونها ابنتي الكبرى، كأنما في كل خطوة تزداد طولًا، ورشاقة، وكأن ساقها الطويلتين تأخذانها إلى حياة خاصة بها.

ضممت ساشا إلى صدري بقوة. ميشيل أمسكت يدي، كأنها تستشعر ما أحس به. تذكرت شاهدة قائلته ميشيل أمام أحد الصحفيين خلال حملتي الانتخابية، حين سألها ماذا يعني لها أن تكون زوجة سياسي.

قالت: «إنه وضع صعب»، ثم أضافت حسب ما قال الصحفي وعلى محياها ابتسامة مأكرة: «ولهذا السبب أراه حامدا شكورا»

كانت زوجتي على حق، كعادتها دائمًا وأبدًا.

## خاتمة

مراسم أدائي القسم عضوا في مجلس شيوخ الولايات المتحدة (كانون الثاني/يناير 2005) استكملت عملية بدأت في اليوم الذي أعلنت فيه ترشيحي قبل سنتين - واستبدال حياة مغمورة نسبيا بأخرى عامة وشهيرة.

من المؤكد أن العديد من الأمور بقيت على حالها. فأسرتنا ما زالت تقيم في شيكاغو. وما زلت أذهب إلى الحلاق ذاته، ولم نغير أصدقاءنا، أنا وميشيل، الذين يأتون لزيارتنا في البيت، وما زالت البنتان تلعبان في الملاعب نفسها.

ومع ذلك، ليس ثمة شك في أن العالم قد تغير تغيرا عميقا بالنسبة لي، بطرائق لا أعترف بها دائما. كلماتي، وأفعالي، وخطط رحلاتي، وضرائبي، أصبحت تنشر في الصحف الصباحية أو تبث في نشرات الأخبار المسائية. ووجب على ابنتي تحمل أن يقاطع نزهتنا في حديقة الحيوانات غرباء يظهرن الود ويتحدثون معي. حتى خارج شيكاغو، غدا من الصعب السير في المطارات، مثلا، دون أن أثير انتباه الناس.

على وجه العموم، أجد من الصعب التعامل مع هذا الاهتمام كله بجدية كبيرة. فعلى الرغم من كل شيء، ما زلت في بعض الأيام أخرج من البيت وأنا أرثدي سترة لا تناسب البنطال. وأفكاري تفتقر إلى الترتيب، وأيامي تفتقد التنظيم، وصورتي الحقيقية لا تتطابق كثيرا مع تلك التي تبرزها الآن وسائل الإعلام أمام العالم، وتفسر أحيانا بعض اللحظات الهزلية. أتذكر اليوم السابق على أداء القسم، حين قررت أنا والموظفون المساعدون عقد مؤتمر صحفي في مكنتي. في ذلك الوقت، كان ترتيبني التاسع والتسعين في السن، واحتشد جميع المرسلين في مكتب مؤقت صغير في قبو مبنى ديركسن، قرب مستودعات التموين التابعة للمجلس. كان ذلك يومي الأول في المبنى؛ لم أشارك في أي عملية تصويت، ولم أقدم أي مشروع قانون - في الحقيقة، لم أجلس بعد في مقعدي حين رفع مراسل جدي الملامح يده وسأل: «سيناتور أوباما، أين هو مكانك في التاريخ؟».

حتى بعض المراسلين الآخرين غلبهم الضحك.

يمكن اقتفاء أثر المبالغة والغلو في الخطبة التي ألقيتها أمام المؤتمر الديمقراطي في بوسطن عام 2004، حين أثرت أول مرة الاهتمام على المستوى الوطني. في الحقيقة، بقيت العملية التي تم عبرها اختياري المتحدث الرئيس سرا غامضا بالنسبة لي. كنت قد التقيت جون كيري أول مرة بعد الانتخابات التمهيدية في إلينوي، حين تحدثت في حملته لجمع التبرعات، ورافقته في مهمة استهدفت تسليط الضوء على أهمية برامج التدريب الوظيفية. بعد بضعة أسابيع، علمنا أن مساعدي كيري يريدون مني التحدث أمام المؤتمر، مع أنه لم تتضح بعد الصفة التي أمثلها. بعد الظهر، ركبت السيارة عائدا من سبرينغفيلد إلى شيكاغو للمشاركة في الحملة، واتصلت بي مديرة حملة كيري الانتخابية لتبلغني النبأ. بعد انتهاء المكالمة قلت لسائقي مايك سيفناتور:

«أعتقد أن الأمر مهم جدا»

أوما مايك وقال: «يمكنك أن تقول ذلك»

لم أحضر مؤتمرات الحزب الديمقراطي من قبل سوى مرة واحدة، مؤتمر عام 2000 في لوس أنجلوس. لم أخطط لحضور ذلك المؤتمر؛ كنت خارجا للتو من الهزيمة التي منيت بها في الانتخابات التمهيدية للحصول على مقعد المنطقة التشريعية الأولى في ولاية إلينوي ومصمما على قضاء معظم عطلة الصيف في استكمال الواجبات والقضايا القانونية التي تركتها خلال الحملة (وهذا إهمال تركني مفلسا تقريبا)، إضافة إلى تعويض الوقت الذي خسرتة مع زوجة وابنة غبت عنهما كثيرا خلال الشهور الستة الماضية.

لكن في اللحظة الأخيرة، أصر عدد من الأصدقاء والأنتصار من المخططين على الانضمام إليهم. قالوا إن عليك توطيد اتصالات على المستوى الوطني، تفيدك عندما تترشح مرة أخرى - وعلى أي حال ستكون المناسبة ممتعة. ومع أنهم لم يلمحوا إلى أمر آخر آنذاك، إلا أنني أظن أنهم عدوا الرحلة إلى المؤتمر نوعا من العلاج المفيد لي، على أساس أن أفضل شيء أفعله بعد أن سقطت عن الحصان هو العودة إلى السبيل الصحيح.

في نهاية المطاف أذعنت وحجزت تذكرة إلى لوس أنجلوس. وحين حطت الطائرة، ذهبت إلى مكتب هيرتز لتأجير السيارات وناولت الموظفة بطاقتي الائتمانية، وبدأت أبحث في الخريطة عن الاتجاهات المؤدية إلى فندق رخيص السعر، فوجدت واحدا قرب فينيس بيتش. بعد بضع دقائق عادت الموظفة وعلى وجهها أمارات الإحراج «عفوا يا سيد أوباما، رفضت بطاقتك».

«هذا مستحيل، هل يمكنك المحاولة مرة أخرى؟».

«حاولت مرتين يا سيدي. ربما عليك الاتصال بأمريكان اكسبريس».

بعد مكالمة دامت نصف ساعة على الهاتف، أجاز المشرف الطيب استخدام بطاقتي لاستئجار سيارة. لكن الحادثة كانت نذير شؤم. ونظرا لأنني لست مندوبا، لم أتمكن من ضمان الحصول على إذن بدخول قاعة المندوبين؛ ووفقا لرئيس الحزب في الينوي، فقد تلقى سيلا دافقا من الطلبات، وأفضل ما يمكن أن يفعله هو منحي الإذن بدخول مكان الاجتماع. ولذلك، انتهى بي المطاف أشاهد وأستمع إلى معظم الخطب عبر شاشات التلفزيون المبعثرة في مختلف أرجاء مركز ستيلز، وأتبع الأصدقاء أو المعارف إلى المقصورات حيث اتضح أنني غريب عن المكان. بحلول مساء الثلاثاء، أدركت أن حضوري لا يفيدني ولا يخدم أي هدف بين الحزب الديمقراطي، وبحلول الأربعاء كنت على أول رحلة عائدا إلى شيكاغو.

نظرا للفارق الواسع بين دوري السابق كضيف غير مدعو ودوري الجديد كخطيب رئيس، شعرت ببعض القلق من أن ظهوري في بوسطن قد لا يسير على ما يرام. لكن لأنني ربما تعودت بحلول ذلك الوقت الأمور الغريبة التي تحدث في حملتي الانتخابية، لم أحس بأي توتر. بعد بضعة أيام من مكالمة السيدة كاهيل، عدت إلى غرفتي في الفندق في سبرينغفيلد، أدون الملاحظات في مسودة الخطبة في حين أشاهد مباراة في كرة السلة. فكرت بالموضوعات التي تناولتها خلال الحملة - استعداد الناس للعمل بجد ودأب إذا منحوا الفرصة، ضرورة قيام الحكومة بتوفير الأرضية المناسبة للفرص، الاعتقاد أن الأمريكيين يشعرون بالتزام متبادل تجاه

بعضهم بعضا. وضعت قائمة بالقضايا التي يمكن أن تطرق لها - الرعاية الصحية، والتعليم، والحرب في العراق.

لكن قبل كل شيء، فكرت بأصوات جميع الناس الذين قابلتهم خلال مسار الحملة. تذكرت تيم ويلر وزوجته في غيلزبرغ، محاولا معرفة الطريقة التي يمكن عبرها لابنهما المراهق إجراء عملية زرع الكبد التي يحتاج إليها. تذكرت شابا في ايست مولين اسمه سيموس اهرن الذي كان في طريقه إلى العراق - رغبته في خدمة وطنه، أمارات الفخر والاعتزاز والخوف على وجه والده. تذكرت شابة سوداء قابلتها في ايست سنت لويس، نسيت اسمها، أخبرتني عن مساعيها للانتساب إلى الجامعة رغم عدم وجود أحد في أسرتها تخرج في المدرسة الثانوية.

لم يكن كفاح هؤلاء الرجال والنساء هو الذي أثر في نفسي، بل عزيמתهم، واعتمادهم على الذات، وتفاؤلهم العنيد على الرغم من المشقات. تذكرت جملة استخدمها القس جيرميه رايت، في إحدى مواضعه:

### الجرأة على الأمل

فكرت بأنها تجسد أفضل ما في الروح الأمريكية - الجرأة على الإيمان بأن في مقدورنا استعادة حس الجماعة إلى أمة مزقتها الصراعات، على الرغم من الأدلة التي تثبت العكس؛ التجرؤ على الاعتقاد أننا نمتلك بعض السيطرة - ومن ثم المسؤولية - على مصيرنا، على الرغم من النكسات الشخصية، أو فقدان الوظيفة، أو مرض أحد أفراد العائلة، أو الطفولة الممرغة في وحل الفقر.

تلك الجرأة، كما فكرت، هي التي جمعتنا معا كشعب واحد. روح الأمل المنتشرة تلك هي التي ربطت قصة عائلتي مع قصة المجتمع الأمريكي الأوسع، وقصتي الشخصية مع قصص الناخبين الذين أسعى إلى تمثيلهم.

توقفت عن متابعة المباراة، وأغلقت التلفزيون، وبدأت الكتابة.

بعد بضعة أسابيع، وصلت إلى بوسطن، وسرقت ثلاث ساعات نوم، وذهبت من فندقني إلى فليت سنتر من أجل أول ظهور لي في برنامج «قابل الصحافة». وقرب

انتهاء البرنامج، وضع تيم روسيرت على الشاشة مقتطفات من مقابلة أجريتها مع صحيفة كليفلاند بلين - ديلر غابت عن ذاكرتي كلياً، حيث سألتني المراسل - بوصفي دخلت للتومعترك السياسة كمرشح لمجلس شيوخ ولاية إلينوي - عن رأيي بالمؤتمر الديمقراطي في شيكاغو:

المؤتمر للبيع.. أنت تحصل على طبق العشاء مقابل 10 آلاف دولار، وبطاقة النادي الذهبية. أعتقد أن الناخب العادي حين يرى ذلك، يشعر بأنه مبعّد عن العملية. إذ لا يمكنه حضور حفلة إفطار بقيمة 10 آلاف دولار. ويعرف أن القادرين ستتاح لهم أمور لا يتصورونها حتى في خيالهم.

بعد أن غاب الشاهد المقتبس عن الشاشة، التفت روسيرت إلي وقال: «مئة وخمسون متبرعا قدموا أربعين مليون دولار لهذا المؤتمر. الوضع أسوأ حالا من شيكاغو وفقاً لمعاييرك. هل تشعر بتعرضك للإساءة، وما الرسالة التي يبعث بها ذلك كله إلى الناخب العادي؟».

قلت مجيباً إن السياسة والمال يمثلان مشكلة للحزبين كليهما، لكن سجل تصويت جون كيري، وسجلي أنا، أشارا إلى أننا صوتنا لمصلحة البلد. وأن المؤتمر لن يغير ذلك، مع أنني اقترحت فعلاً أنه كلما زاد تشجيع الديمقراطيين للمشاركة من جانب الناس المغيبيين عن العملية، زاد إخلاصنا لأصولنا وجذورنا كحزب المواطنين العاديين، وتعاضمت قوتنا كحزب سياسي.

اعتقدت في سري أن الشاهد الأصلي (لعام 1996) كان أفضل وأصدق تعبيراً.

في بعض الأحيان كانت المؤتمرات السياسية تعبر عن الحالات الطارئة والدرامية للسياسة - حين كانت الترشيحات تقررها قيادات المؤتمر وأعداد الحاضرين والصفقات الجانبية والضغط والتهديدات، حين كانت العواطف والأهواء أو سوء الحساب تؤدي إلى جولة ثانية أو ثالثة أو رابعة من التصويت. لكن هذا الزمان مضى وانقضى. فمع ظهور الانتخابات التمهيدية الملزمة، وإنهاء هيمنة زعماء الحزب والصفقات الجانبية والمفاوضات السرية، لم تعد المؤتمرات تخبئ المفاجآت. بل تعد

إعلاننا دعائياً يستمر أسبوعاً للحزب ومرشحته — إضافة إلى كونها وسيلة لمكافحة الأنصار المخلصين والمساهمين الرئيسيين في الحزب بأربعة أيام من الطعام والشراب والتسلية وتبادل الحديث عن القضايا التي تهمهم.

قضيت معظم الأيام الثلاثة الأولى من المؤتمر أمارس دوري في هذا المهرجان. تحدثت في قاعات مليئة بالمتبرعين الديمقراطيين الرئيسيين، وتناولت الفطور مع مندوبين من الولايات الخمسين. كنت أجرب إلقاء الخطب أمام شاشة فيديو، وأؤدي «البروفات» حول تنفيذها، وأتلقى التعليمات فيما يتعلق بالمكان الذي أقف فيه وإشارات اليدين وأفضل طريقة لاستخدام الميكروفونات. وكنت أصعد وأنزل أدراج مبنى فليت سنتر، برفقة مدير اتصالاتي، روبرت غيبز، لإجراء مقابلات، لم يكن يفصل بينها أحياناً سوى دقيقتين، مع محطات إيه بي سي، وإن بي سي، وسي بي إس، وسي إن إن، وفوكس نيوز، وإن بي آر، مؤكداً في كل منها على النقاط التي قدمها فريق كيري — إدواردز، واختبرت كل كلمة منها دون شك بواسطة العديد من استطلاعات الرأي والمجموعات التمثيلية.

نظراً لسرعتي الشديدة في تلك الأيام المحمومة، لم يكن لدي الوقت الكافي لأشعر بالقلق على تأثير خطبي وأحاديثي. ولم أشعر بشيء من التوتر إلا مساء الثلاثاء، بعد أن تجادل المساعدون مع ميشيل حول ربطة العنق التي سأرتديها (اتفقنا أخيراً على ربطة عنق روبرت غيبز)، وبعد أن ذهبنا إلى فليت سنتر وسمعنا الناس يهتفون لي: «حظاً سعيداً»، و«اسحقهم يا أوباما»، وبعد أن زرنا السيدة الكريمة والمسلية تيريزا هاينز كيري في غرفتها في الفندق، وجلسنا أنا وميشيل نشاهد البث في غرفة خلفية. ذكرت لميشيل أنني أشعر ببعض الألم في معدتي فعانقتني ونظرت في عيني وقالت: «لا تقصد الأمر يا رفيق!».

ضحكنا معاً. في تلك اللحظة أتى أحد مديري الإنتاج وقال إن الوقت قد حان لآخذ مكاني خلف المسرح. وقفت وراء الستارة السوداء، واستمعت إلى ديك دروبن يقدمني، فكرت بأمي وأبي وجدي وشعورهم لو كانوا بين الحضور. فكرت بجذتي في هاواي، التي تشاهد المؤتمر على شاشة التلفزيون لأن حالة ظهرها المتردية

منعتها من السفر. فكرت بالمتطوعين والأنصار والمؤيدين في الينوي الذي بذلوا قصارى جهدهم من أجلي.

قلت لنفسي: يا إلهي ساعدني على رواية قصصهم بطريقة صحيحة. ثم دخلت إلى المسرح.

سأكون كاذبا لو قلت إن ردة الفعل الإيجابية على خطبتي في مؤتمر بوسطن - الرسائل التي تلقيتها، والحشود التي تجمعت لاستقبالنا حين عدنا إلى الينوي - لم تكن مرضية لي شخصيا. فعلى الرغم من كل شيء، دخلت معترك السياسة لأمارس بعض التأثيرات في الجدل العام، لأنني اعتقدت أن لدي ما أقوله فيما يتعلق بالوجهة التي يجب أن تسير نحوها البلاد.

ومع ذلك، عززت موجة الشهرة الكاسحة التي أعقبت الخطبة إحساسي بأن الشهرة أمر زائل وعابر، ومرتكز على ألف من العوامل المختلفة، منها الحظ والأحداث التي اتخذت هذا المسار لا ذاك. أعرف أنني لست أكثر ذكاء من الرجل الذي كنته قبل ست سنين، حين سقطت في تلك الورطة - المؤقتة - في لوس أنجلوس. أفكارى المتعلقة بالرعاية الصحية أو التعليم أو السياسة الخارجية لم تشهد إضافات محسنة صقلتها وشذبتها وجعلتها أفضل مما كانت عليه حين كنت مغمورا أجاهد وأكافح في ميدان التنظيم الاجتماعي. فإذا أصبحت أكثر حكمة، فلأنني تقدمت خطوة على السبيل الذي اخترته لنفسى، سبيل السياسة، وعرفت لمحة عن الوجهة التي يؤدي إليها، إلى النفع أو إلى الضرر.

أذكر حديثا لي مع صديق قبل عشرين سنة، رجل أكبر منى عمرا كان ناشطا في مجال حقوق الإنسان في شيكاغو في الستينيات، وأستاذا للدراسات الحضرية في جامعة نورث ويسترن. كنت قد قررت لتوي، بعد ثلاث سنوات من العمل في التنظيم الاجتماعي، الانتساب إلى كلية الحقوق؛ ولأنه واحد من الأكاديميين القلائل الذين عرفتهم، طلبت منه توصية.

قال إنه يسعده أن يكتب التوصية، لكن يريد أن يعرف أولا ما أنوي فعله بشهادة الحقوق. ذكرت له اهتمامي بالحقوق المدنية، وأنني سأحاول في مرحلة ما الترشح

لأحد المناصب العامة. أو ما رأسه وسألني هل فكرت بما يعنيه اتخاذ هذا السبيل، وما هي الأشياء التي سأكون مستعدا لفعالها لإجراء مراجعة على القانون، أو اتخاذ شريك، أو الارتقاء في ذلك المنصب الذي سأنتخب له. كقاعدة عامة، يتطلب القانون والسياسة كلاهما تنازلات وتساويات، كما قال؛ لا فيما يتعلق بالقضايا وحسب، بل بالأمور الجوهرية - القيم والمثل. لم يكن يقول ذلك ليثيني عن هدي، كما أكد. بل هي الحقيقة. فبسبب عدم رغبته في تقديم التنازلات، رفض دوما دخول معترك السياسة على الرغم من الطلبات الكثيرة التي دعتة إلى دخولها في شبابه.

قال لي: «لا يعني ذلك أن الخطأ متأصل في التسوية، بل لأنني لم أجدها مرضية ولا مقنعة. والشيء الذي اكتشفته مع تقدمي في العمر أن عليك أن تفعل ما يرضيك ويقنعك. وفي الحقيقة، فإن هذه إحدى مزايا الشيخوخة، كما أفترض، حيث تعرف أخيرا ما يهمك. يصعب أن تعرف ذلك في السادسة والعشرين. والمشكلة أنه لا يوجد من يجيب عن هذا السؤال من أجلك. عليك أن تفكر به وحدك».

بعد عشرين سنة، فكرت بذلك الحديث وقدرت أهمية كلمات صديقي أكثر مما فعلت آنئذ. فقد بلغت عمرا يجعلني أعرف ما يرضي نفسي، ومع أنني أكثر تسامحا مع التسويات مقارنة بصديقي، إلا أنني أعرف أن رضى النفس لن أجده في وهج كاميرات التلفزيون أو تصفيق الجمهور. بل يبدو أنه يأتي غالبا الآن من معرفة أنني استطعت بطريقة يمكن إثباتها مساعدة الناس على العيش بشيء من الكرامة. أفكر بما كتبه بينجامين فرانكلين إلى أمه، ليشرح لها لماذا كرس هذا القدر من وقته للخدمة العامة: «أفضل أن يقال: استفاد الناس من حياته، بدلا من مات ثريا».

هذا ما يرضي نفسي الآن كما أحسب - أن أكون مفيدا لأسرتي والناس الذين انتخبوني، وأخلف ورائي ميراثا يجعل حياة أطفالنا مترعة بأمل أكبر من حياتنا. في بعض الأحيان، حين أعمل في واشنطن، أشعر أنني أحقق ذلك الهدف. في أحيان أخرى، يبدو أن الهدف يبتعد عني، وكل النشاط الذي أمارسه - جلسات الاستماع والخطب والمؤتمرات الصحفية والبيانات التي أعلن فيها وجهة نظري - نشاط عبثي لا طائل فيه ولا يفيد أحدا.

حين أجد نفسي في هذه الحالة الذهنية، أحب ممارسة رياضة الجري. في العادة، أبدأ عند المغرب، خصوصاً في الصيف والخريف، حين يكون الهواء في واشنطن دافئاً وهادئاً ولا تكاد الريح تهز أوراق الشجر. وبعد هبوط الليل، لا أجد كثيراً من الناس في الطريق - اللهم سوى بعض الأزواج والزوجات الذين يسيرون هنا وهناك، وبعض المشردين على المقاعد يرتبون حاجياتهم. في معظم الأحيان أتوقف عند نصب واشنطن التذكاري، لكنني أحياناً أصل إلى النصب التذكاري لأبطال الحرب العالمية الثانية، ثم إلى النصب التذكاري لقدامى المحاربين في فيتنام، وبعدئذ أصعد درج نصب لينكولن.

في الليل، يكون الضريح العظيم مضاء لكن خالياً. أقف هناك بين الأعمدة الرخامية، وأقرأ خطبة غيتسبرغ وخطاب القسم للولاية الثانية. ثم أنظر إلى ريفلكتينغ بول، وأتخيل الحشد المسحور بإيقاع صوت مارتن لوثر كينغ، ثم إلى ما وراءها حيث المسلة المضاءة وقبة الكابيتول البراقة.

وفي ذلك المكان، أفكر بأمريكا وبُناتها، الآباء المؤسسين لهذه الأمة الذين ارتقوا فوق مطامحهم الصغيرة وسموا فوق حساباتهم الضيقة وتخلوا أمة تمتد دولتها عبر قارة. وأولئك الذين نذروا حياتهم، مثل لينكولن وكينغ، لجعل اتحاد يفتقد الكمال كاملاً. وجميع أولئك الرجال والنساء، الذين لا وجوه لهم ولا أسماء، والعبيد، والجنود، والخياطين، واللحامين، الذين بنوا حياة لهم ولأطفالهم وأحفادهم، لبنة لبنة، ومدوا السكك الحديدية وشيدوا الطرقات وجاهدوا وكافحوا بأيديهم الصلبة وأذرعهم القوية لتحقيق أحلامنا الجمعية.

هذه العملية هي التي أريد أن أشارك فيها.

فقلبي مترع بالحب لهذا البلد.



## كلمة شكر

ما كان لهذا الكتاب أن يرى النور لولا الدعم الاستثنائي الذي قدمه عدد من الأشخاص.

علي أن أبدأ بزوجتي ميشيل. فالزواج من سناتور أمر يصعب تحمله، لكن الزواج من سيناتور يؤلف كتابا يحتاج إلى صبر أيوب. إذ لم تكف بتوفير الدعم المعنوي والعاطفي طيلة مدة الكتابة، بل ساعدتني على التوصل إلى العديد من الأفكار التي عبر عنها الكتاب. مع كل يوم يمر، أعرف كم أنا محظوظ بوجودها في حياتي، ولا يمكنني سوى الأمل بأن يقدم حبي اللامحدود لها بعض المواساة والتعويض عن انشغالي المستمر عنها.

أريد أن أعبّر أيضا عن الشكر لمحرة الكتاب، ريتشيل كليمان. فحتى قبل أن أفوز بانتخابات المجلس التمهيدية، كانت ريتشيل هي التي نبهت دار النشر، كراون، إلى أهمية كتابي الأول «أحلام من أبي» بعد أن نفذت نسخته. وهي التي أيدت اقتراحي بتأليف هذا الكتاب. وهي التي ظلت شريكتي الدائمة في الجهد الصعب لكن المتواصل والمتسارع لاستكمال إنجازهم. في كل مرحلة من عملية التحرير، تميزت بالرؤى الثاقبة، والدقة الشديدة، والحماسة التي لا تهدأ. وكثيرا ما فهمت ما كنت أحاول تحقيقه من الكتاب حتى قبل أن أبدأ، وأعادتني بلطف ورقة لكن بصرامة لا تلين إلى المسار الصحيح كلما ضللت السبيل وانزلقت إلى مستوى الرطانة، أو اللغة الطنانة، أو العاطفة المفرطة المغالية. فضلا عن ذلك، اتسمت بصبر لا ينفد تجاه انشغالي الدائم وبرنامج مواعيدي المتختم في المجلس، والنوبات الدورية من فتور الحماس وانقطاع الإلهام؛ وكثيرا ما كان عليها التضحية بنومها الهائئ، أو عطلة الأسبوعية، أو إجازاتها مع أسرتها لكي تدفع المشروع قدما إلى الأمام.

باختصار، كان محررة مثالية - وغدت صديقة لا تقدر بثمن.

وبالطبع، ما كانت ريتشيل لتستطيع إنجاز ما أنجزته لولا الدعم الكامل من الناشرين في مجموعة كراون، جيني فروست وستيف روس. فإذا شملت صناعة النشر تشابك الفن والتجارة، فقد انحاز الاثنان باستمرار إلى جانب جعل الكتاب على أفضل صورة ممكنة. وإيمان كل منهما به دفعه إلى بذل جهد دؤوب إضافي - مرارا وتكرارا - في سبيل نشره، ولذلك أدين لهما بالشكر الجزيل.

الروح ذاتها ميزت جميع العاملين في دار كراون للنشر الذين بذلوا جهدا مضنيا في سبيل الكتاب. أمييورستين، التي لم تتعب من إدارة عملية الإنتاج المرهقة على الرغم من ضيق الوقت. في حين دافعت تينا كونستابل وكريستين ارونسون دفاعا مستميتا عن الكتاب واستطاعتا بكل مهارة وحذق جدولة ( وإعادة جدولة ) اللقاءات معي وفقا لمواعيد عملي في المجلس. وبذلت جيل فلاكسمان جهدا دؤوبا مع قسم المبيعات في راندوم هاوس والمكتبات لتساعد في سرعة وصول الكتاب إلى أيدي القراء. وأنتج جاكوب برونستين - للمرة الثانية - نسخة صوتية متميزة للكتاب في ظروف لا يمكن وصفها بالمثالية. إلى هؤلاء جميعا أقدم شكري وتحياتي القلبية، ولن أنسى الأعضاء الآخرين في فريق دار كراون: لوسيندا بارتلي، ويتني كوكمان، لورين دونغ، لورا دويغ، سكيب داي، ليتا ايفانثيز، كريستين كايسر، دونا باسانانت، فيليب باتريك، ستان ريديفرن، باربرا ستورمان، دون فايسبيرغ، والعديد غيرهم.

هنالك عدد من الأصدقاء، منهم ديفيد اكسلرود، كاساندر بوتس، فوريسست كلايول، جوليوس جيناتشوفسكي، سكوت غريشن، روبرت فيشر، مايكل فرومان، دونالد غيبس، جون كوبر، انتوني ليك، سوزان رايس، جين سبيرلينغ، كاس سونستين، جيم واليس، الذين قرؤوا المخطوط وقدموا اقتراحات ثمينة ومفيدة. سامانثا باور تستحق شكرا خاصا على كرمها الاستثنائي؛ فعلى الرغم من أنها تؤلف كتابا خاصا بها، عملت على مراجعة كل فصل كأنه من فصول كتابها، وقدمت سيلا دافقا مستمرا من الملاحظات المفيدة، وشجعتني على المتابعة كلما استشعرت فتورا في طاقتي وتراخيا في همتي.

وهناك عدد من الموظفين المساعدين في المجلس، منهم بيت روز، كارن كورنبلوه، مايك ستروتمانيز، جون فافرو، مارك ليبيرت، جوشوا دوبا، وخصوصا روبرت غيبس وكريس لو، قرؤوا المخطوط خلال وقت الفراغ وقدموا لي اقتراحات تتعلق بالتحجير، وتوصيات تتصل بالسياسة، ومذكرات، وتصويبات. الشكر كل الشكر لهم جميعا على القيام بأكثر مما تطلبته واجباتهم.

الموظفة التي عملت معي سابقا، مادوري كوماريدي، كرست فصل الصيف قبل التحاقها بكلية الحقوق بجامعة ييل من أجل التحقق من دقة المعلومات في المخطوط برمتها. أذهلتني موهبتها وأدهشتني طاقتها. أتوجه بالشكر أيضا إلى هيلاري شرينيل، التي تطوعت لمساعدة مادوري في التحقق من عدد من المعلومات الواردة في فصل السياسة (الخارجية).

أخيرا، أود أن أشكر وكيلتي، بوب بارنيت (من شركة وليامز كونولي)، على صداقته، ومهارته، ودعمه. فالتأثير الإيجابي الذي مارسه كان هائلا.

